الباب الأول

تعريف العالم الإسلامي

●● وفيه فصلان:

الفصل الأول: العالم الإسلامي جغرافياً.

الفصل الثاني: العالم الإسلامي فقهياً وسياسياً.

الفصل الأول
العالم الإسلامي جغرافياً

المبحث الأول
الموقع والحدود الجغرافية

١ ـ الموقع:

يمتاز العالم الإسلامي بموقع يتوسط العالم، وبمناخات متنوعة على مدار العام تدعو إلى التكامل والتوازن، فهو يقع في صرة العالم، ويطل على كثير من البحار والمحيطات، ويزخر بأهم الأنهار في العالم وأطولها وأغزرها.

فمداخل المحيط الهندي في أرض إسلامية «مضيق ملقا في الشرق، ومضيق باب المندب في الغرب، والبحر الأبيض المتوسط في أرض إسلامية، والبحر الأحمر والبحر الأسود والبحر الميت».

كما يجري في العالم الإسلامي من الأنهار العذبة الغزيرة المياه، منها:

نهر النيل: ويعتبر أطول أنهار العالم، وطوله ٦٦٩٥ كم.

نهر النيجر: ويبلغ طوله ٤٧٠٠ كم.

نهر السند: ويبلغ طوله ٢٩٠٠ كم.

نهر الفرات: ويبلغ طوله ٢٧٣٦ كم.

نهر زمبيزي: ويبلغ طوله ٢٧٠٠ كم.

نهر دجلة: ويبلغ طوله ١٨٣٥ كم.

نهر السنغال: ويبلغ طوله ١٧٠٠ كم.

نهر العاصي: ويبلغ طوله ٥٧١ كم.

٢ ـ الحدود الجغرافية:

لقد انعكس الامتداد الجغرافي الواسع ليابسة العالم الإسلامي وتشعبه وتعدد

أقطاره التي بلغت أكثر من ٥٠ قطراً على تنوع حدوده وتعقيد مظاهرها، بل أدَّت إلى صعوبة وضع حدود جغرافية له إذا قارناها بالحدود الجغرافية الواضحة للأقطار القارية، أو شبه القارية، مثل: «الولايات المتحدة الأمريكية، الهند، جمهورية كندا، أستراليا»، ومعنى هـٰذا: أنَّ العالم الإسلامي في كثير من أقطاره يتداخل مع غيره من الأقطار الأخرى، ومع الأقاليم والتكتلات الجغرافية والسياسية المجاورة له، أو المحيطة به.

فالعالم الإسلامي بحدوده الواردة هـٰذه يمتد عبر قارات العالم القديم الثلاث: «آسيا، وأوروبا، وأفريقيا»، كما يتحكم العالم الإسلامي في كثير من اليابسة وكثير من المسطحات المائية الواسعة، وهي المحيط الأطلسي في الغرب والبحر المتوسط في الشمال، والمحيط الهندي والبحر الأحمر في الشرق. كما يتحكَّم في عدد من الممرات البحرية الدولية الصالحة للملاحة طيلة أيام السنة والواقعة على أهم الطرق التجارية العالمية خاصة منها طريق نقل خام النفط نخص منها ممرات: جبل طارق، ومضيق صقلية، وقناة السويس، وباب المندب، ومضيق موزنبيق.

وقد قامت على هـٰذه المضايق العالمية المهمَّة، كثير من الموانى؛ لتقديم خدماتها للسفن المارَّة بتلك الممرات وعدد من القواعد العسكرية لحمايتها، نخص منها: موانى طنجة، ومليلة، ووهران، وتونس، وطرابلس، وبورسعيد، والسويس، وجيبوتي، وعدن، ودار السلام، وبربرة.

ويبلغ إجمالي مساحة العالم الإسلامي، ما يقارب ٣٥ مليون كيلو، ليصبح العالم الإسلامي بأرقام مساحته العملاقة هـٰذه، الأول بين أكبر الأقطار مساحةً في العالم، ويكاد يساوي مساحة العالم المسيحي، إذا جازت لنا هـٰذه التسمية.

* * *

المبحث الثاني
أهمية مساحة العالم الإسلامي وكتلته السكانية

ذكر مساحة العالم الإسلامي هو من الضرورة؛ نظراً لارتباطه الوثيق بتوضيح مكانة العالم الإسلامي في تنوع مناخه، وتكويناته الجيولوجية، ونطاقات نباتاته الطبيعية، ونوع تربته، وتعدد ثرواته المعدنية، ومصادر الطاقة والوقود فيه، ثم توضيح التسهيلات التي يتمتع بها في مجالات العمران والإسكان ومقارنتها بمثيلاتها في الأقطار الكبرىٰ.

- **الكتلة السكانية:**

تعيش علىٰ هٰذه الرقعة الكبيرة كتلة سكانية ضخمة وعملاقة تسكن هٰذه الرقعة بمساحتها وشكلها وحجمها البالغ عددها مليار ونصف النسمة الآن موزعة علىٰ البلاد الآتية:

جدول
توزيع القوى العاملة الاقتصادية والقوى الزراعية في البلدان الإسلامية المتوقع في العامين ٢٠٠٠ و٢٠٢٥م

البلد	القوى العاملة الاقتصادية			الكثافة السكانية (نسمة/كم٢)	معدل النمو السنوي (٪)	عدد السكان المتوقع	
	المجموع الكلي «مليون»	العاملون في الزراعة «مليون»	النسبة المئوية ٪			عام ٢٠٠٠م «مليون»	عام ٢٠٢٥م «مليون»
أفغانستان	٤,٩٧	٢,٩٠	٥٨,٤	٢٥,٥	٢,٤	٢١,٤٦	٣٨,٨٣
الجزائر	٤,٨٣	١,٢٠	٢٤,٣	٩,٢	٣,٢	٣٥,٤٤	٧٧,٨٨
البحرين	—	—	—	٦٩٣,٥	٢,٨	٠,٥٩	١,١٧
بنغلاديش	٢٨,٨٤	٢٠,٥٠	٧١,٠	٧٠٢,٤	٢,٧	١٥١,١٦	٢٩٤,٢٤
بروناي	—	—	—	٣٩,٩	٢,٦	٠,٢٩	٠,٥٤
الكاميرون	٤,٠	٢,٤٢	٦١,١	٢٠,٨	٢,٧	١٤,٥٢	٢٨,٢٦
تشاد	١,٨٠	١,٤١	٧٨,٦	٣,٩	٢,٠	٦,٨٦	١١,٢٥
جيبوتي	—	—	—	١٦,٤	٢,٥	٠,٤٢	٠,٧٩
مصر	١٢,٨٤	٥,٤٦	٤٢,٥	٤٦,٨	٢,٦	٧٢,٣٤	١٣٧,٤٢
غامبيا	٠,٣١	٠,٢٥	٨٢,٦	٥٦,٦	٢,٠	١,٠٦	١,٧٣
غينيا بيساو	٠,٤٣	٠,٣٥	٨١,٣	٢٤,٦	١,٩	١,١٧	١,٨٦
غينيا	٢,٨٥	٢,٢٢	٧٨,١	٢٤,٨	٢,٣	٨,٥٢	١٥,٠٥
إندونيسيا	٦٣,٤٣	٣٣,٢٥	٥٢,٤	٨٧,٨	٢,١	٢٢٥,٢٧	٣٧٨,٧٤
إيران	١٣,٠٢	٤,٢٨	٣٢,٩	٢٧,١	٢,٩	٦٢,٥٣	١٤٢,١٠
العراق	٤,٢٦	١,٠٠	٢٢,٥	٣٦,٦	٣,٣	٢٥,٢١	٥٦,٧٦
الأردن	٠,٨٠	٠,٠٥	٥,٨	٣٥,٩	٣,٧	٦,١٥	١٥,٢٦
الكويت	٠,٦٨٠	٠,٠١	١,٥	١٠١,٦	٣,٢	٢,٨٠	٦,٥١

تابع جدول توزيع القوى العاملة الاقتصادية والقوى الزراعية في البلدان الإسلامية المتوقع في العامين ٢٠٠٠ و٢٠٢٥م

البلد	القوى العاملة الاقتصادية			الكثافة السكانية (نسمة/كم٢)	معدل النمو السنوي (٪)	عدد السكان المتوقع	
	المجموع الكلي «مليون»	العاملون في الزراعة «مليون»	النسبة المئوية ٪			عام ٢٠٠٠م «مليون»	عام ٢٠٢٥م «مليون»
لبنان	٠,٧٧	٠,٠٩	١٢,١	٢٥٦,٧	٢,١	٣,٦١	٦,٠٧
ليبيا	٠,٩٠	٠,١٣	١٤,١	٢,٠	٣,٣	٦,١٤	١٣,٨٣
ماليزيا	٦,١٧	٢,٢١	٣٥,٨	٤٧,٢	٢,٤	٢٢,٠٢	٣٩,٨٤
المالديف	—	—	—	٦٠٠,٠	٣,١	٠,٣١	٠,٦٦
مالي	٢,٦٠	٢,١٦	٨٣,٣	٦,٥	٢,٨	١١,٦٣	٢٣,٨٤
موريتانيا	٠,٥٩	٠,٣٥	٥٩,٠	١,٨	٢,٩	٢,٨٤	٥,٧٩
المغرب	٦,٦٨	٢,٦٥	٢٣٩,٧	٤٩,١	٢,٦	٣٣,٩٥	٦٤,٤٩
النيجر	١٣,٣٠	٢,٨٥	٨٩,٠	٤,٨	٢,٨	٩,٨٦	١٩,٦٧
نيجيريا	٣٦,٥٧	٢٤,٣٩	٦٦,٧	١٠٣,١٠	٣,٠	١٥٩,٤٦	٣٣٣,٨٠
عُمان	—	—	—	٥,٨	٣,٣	٢,٠٥	٤,٦١
باكستان	٢٩,٨٠	١٥,٦٣	٥٢,٤	١٢٤,٩	٢,٨	١٥٠,٠٠	٢٩٩,١٦
قطر	—	—	—	٢٨,٢	٢,٩	٠,٤٥	٠,٩١
السعودية	٣,٤٠	١,٣٨	٤٠,٥	٥,٤	٣,٠	١٧,٣٩	٣٦,٤٢
سوريا	٢,٦٠	٠,٦٤	٢٤,٣	٥٧,١	٣,٨	١٧,٧٠	٤٥,٠٠
السنغال	٢,٩٠	٢,٣٠	٧٩,٥	٣٢,٨	٢,٩	١٠,٣٠	٢١,٠٤
سيراليون	١,٣٥	٠,٩٠	٦٦,٣	٥٠,٢	١,٨	٤,٧٥	٧,٤٢
الصومال	٢,٠٠	١,٤٧	٧٣,٥	٧,٣	٢,٥	١١,٠٢	٣٠,٤٣
السودان	٦,٩٩	٤,٧٥	٦٧,٩٠	٨,٦٠	٢,٩	٣١,١٧	٦٩,٨٣
تونس	٢,٢٢	٠,٧٠	٣١,٦٠	٤٣,٣٠	٢,٧	١٠,٤٥	٢٠,٣٥

تابع جدول توزيع القوى العاملة الاقتصادية والقوى الزراعية في البلدان الإسلامية المتوقع في العامين ٢٠٠٠ و٢٠٢٥م

البلد	القوى العاملة الاقتصادية			الكثافة السكانية (نسمة/كم٢)	معدل النمو السنوي (٪)	عدد السكان المتوقع	
	المجموع الكلي «مليون»	العاملون في الزراعة «مليون»	النسبة المئوية ٪			عام ٢٠٠٠م «مليون»	عام ٢٠٢٥م «مليون»
تركيا	٢١,٣٨	١١,٠٥	٥١,٧٠	٦٣,١٠	٢,٥	٧٣,٩٠	١٣٧,٠
أوغندا	٧,١٥	٥,٩١	٨٣,٨	٦٥,٦	٣,٤	٢٤,٢٧	٥٥,٩٩
الإمارات	—	—	—	١٥,٩	٢,٣	١,٩٢	٣,٤٠
الجمهورية العربية اليمنية توحدت مع جمهورية اليمن الديمقراطية بالمسمى الأول	٢,٤٤	١,٢٨	١٠١,١	٤١,٥	٦,٠	١٢,٩٣	٢٦,١٠٢
مجموع سكان البلدان الإسلامية	٢٨٢,٤٧	١٥١,١٤	٥٣,٥	٣١,٥	٢,٧	١٢٦٣,٨٦	٢٤٦٣,٦٣
سكان العالم	٢١٦٣,٧٤	١٠,٥٩,٠١	٤٩,٠٧	٣٦,١	١,٧	٦١٥٧,٠٠	٩٣٧٧,٠٠
نسبة سكان البلدان الإسلامية إلى العالم (٪)	١٣,٠٥	١٤,٢٧	—	—	—	٢٠,٥٠	٢٦,٢٧

Source: (1) 1986, Warld, population. Data\ sheet,\ population, Reference\ Bureaun\ INC., Washingtin D.G.

(2) FAO\ Producioh\ Year\ Book, 1985, voc. 39.

(٣) انظر: كتاب الأمن الغذائي في العالم الإسلامي، ص ١٣٦ ـ ١٣٨، ط. منشورات الأكاديمية الإسلامية للعلوم.

الجمهوريات الإسلامية
في بلاد ما وراء النهر

البلد	عدد السكان بالمليون	نسبة المسلمين	التعداد المتوقع سنة ٢٠٠٠م
أوزبكستان	٢,٥	٥٠٪	٣,٥
كازاخستان	١٧,٥	٦٣٪	٢٠,٢
طاجيكستان	٦,٠	٨٠٪	٨,٠
تركمانيا الاتحادية	٤,٥	١٠٠٪	٥,٥
قرقيزيا الاتحادية	٥,٥	٨٠٪	٦,٥
أذربيجان الاتحادية	٨,٥	٨٥٪	٩,٧٠
جورجيا	٦,٥	٢٠٪	٧,٥
أبخازيا	١٠٪	٨٠٪	٢٠٪
تتارستان	٥,٠	٧٥٪	٦,٥
بشكيريا	٤,٠	٦٥٪	٥,٠
شبه جزيرة القرم	٣,٠	٢٠٪	٣,٥
سيبيريا	١٠,٠	٢٥٪	١٢,٠
داغستان	١٢,٠	٨٥٪	١٣,٥
الشيشان	٢,٠	١٠٠٪	٣,٠
الأنجوش	٣٠٪	٧٠٪	٥٠٪

● **إيحاءات هذه القوة الإسلامية:**

هذه القوة الهائلة من الدول، والأعداد الضخمة، تبدو اليوم معطلة، بل مهمَّشة، بل ممتهنة وتُغتصب حقوقها، وتسير في ذيل أمم كثيرة حاقدة وظالمة، وتساعد ثلة تائهة من بني جلدتنا هذا الحال البائس لحساب أعدائها وظالميها، ولو أراد العالم الإسلامي اليوم أن ينهض بفعل أبنائه المخلصين، وصحوة جمهوره النائمين، لكان له شأن، وأي شأن! في ارتفاع مستواه الحضاري والفكري، وكان له تأثيره على البشرية، وأخذ مكانة الصدارة كما كان، وتربَّع على عرشه - الذي فقده إلى حين - للأسباب الآتية:

١ - تداخل العالم الإسلامي في وسط الأقطار والشعوب، وهو صاحب رسالة ودين دعوي غازٍ ومقنع وموافق للفطرة في عالم حائر روحياً، يفتح هذا آفاقاً كبيرة للدعوة إلى تنامي القوى الإسلامية إذا فهم المسلم رسالته ودينه وصار مثالاً لتعاليمه.

٢ - انتشاره في وسط الدول الكثيرة بهذا الحجم الكبير، ومخالطة أقطاره لشعوب ودول ومواقع كثيرة، يجعل منه وسائل ضغط كبيرة على هذه الشعوب وتلك الدول في اتخاذ قراراتها لصالح المسلمين إذا أحسن تنظيم نفسه وتفعيل دوره انتخابياً وتجارياً وصناعياً.

٣ - الحجم الهائل من المسلمين والمتوقع زيادته بكثرة، ممكن أن يوازي نصف العالم بعد فترة؛ لخصوبة المسلمين البشرية. وهذا سيكون له دور مهم وفاعل في المستقبل إذا تنبَّهُوا لاستثماره، حتى لا يكون كماً مهملاً.

٤ - القوة الإسلامية بزخمها الروحي والفكري والرسالي، تستطيع أن تكون قوَّة مؤثرة جداً إذا ملكت القوة المادية والتسليحية، كمثيلاتها في العالم، ويكفي أن نعلم أنَّ المسلمين إذا صدقوا مع دينهم وعقيدتهم، فإنَّهم - وبغير سلاح - قوَّة لا يُسْتَهَانُ بها، وقد انتصروا اليوم وهزموا دولاً عظمى، رغم أنَّهم لا ينتجون أي نوع من أنواع الأسلحة المتطورة وغير المتطورة.

كحالة أفغانستان قبل الفتنة، وحالة الشيشان، وحالة الشعوب التي كافحت الاستعمار وأخرجته راغماً من أراضيها، وحالة الحركات الجهادية - حماس

وحزب الله وغيرهما من الحركات التي تدافع عن كرامتها وأرضها، وتوصف بالإرهاب من قِبَل الأعداء اليوم، ويتكاتف العالم الغربي ضدها، ولا يستطيع أن يفعل معها شيئاً إلَّا بمساعدة الأنظمة الإسلامية المسيطرة على الساحة والمحالفة لقوىٰ عدائية.

٥ ـ تستطيع هٰذه القوىٰ الإسلامية العظمىٰ، أن تكون سوقاً عظيمة صناعياً وتجارياً، وأن تنافس وتفاوض وتؤثر في الساحة العالمية صناعياً وتجارياً وتسويقاً، إذا اتَّحدت واستطاعت أن تتجنَّب الفتن الخارجية، وأن تعرف مصالحها، ومع من تسير، وإلىٰ أين؟

٦ ـ إلىٰ أي حد يستطيع الإنسان أن يستبين الخسارة الكبرىٰ من ضياع هٰذه القوىٰ الكبرىٰ وتهميشها والعمل علىٰ وأدها وتفتيتها وضرب الناهضين فيها لحساب قوىٰ حاقدة وعدوَّة ماكرة خبيثة.

* * *

المبحث الثالث
الطاقة الزراعية والصناعية للأمة الإسلامية

نظراً لكبر المساحة المسطحة وغير المسطحة الصالحة للزراعة في الوطن العربي والإسلامي، ونظراً لكثرة الأنهار ووفرة المياه الجوفية، كانت طاقة الأمَّة الإسلامية الزراعية كبيرة جداً تستطيع أن تكون مصدراً لثروة كبيرة للبلاد، وأن تصبح مورداً ضخماً من موارد الأمة الاستراتيجية، فضلاً عن إغناء البلاد والاكتفاء الذاتي من الحبوب والفواكه والخضراوات، كما أن المراعي والزراعة تكون كذلك مصدراً لتربية الحيوانات وأساساً لثروة حيوانية ضخمة، فضلاً عن إنتاج الحليب والأجبان والزبد ومشتقاته. . . إلخ.

● الأمن الغذائي:

عرف الأمن الغذائي بأنه مقدرة البلدان أو الأقاليم أو الأسر التي تعاني من نقص في الموارد الغذائية على تحقيق مستويات استهلاكية محددة سنة بعد أخرى حتى يحصل عندها اكتفاء ذاتي من الغذاء. وينعدم الأمن الغذائي، في الحالتين التاليتين:

١ ـ إذا كان الدخل الحقيقي للمجموعات المعرَّضة لسوء التغذية متدنياً لدرجة يصعب معها تلبية الاحتياجات الغذائية الرئيسة لجميع أفراد العائلة حتى في السنوات التي يكون فيها إنتاج الغذاء المحلي عادياً أو فوق العادي.

٢ ـ إذا حدث انخفاض في الناتج المحلي أو حدث تغير في رسم السياسات الغذائية، أو اختلال في نظام استيراد المواد الغذائية. هذه الأمور تؤدي إلى انخفاض في الغذاء المتاح لسكان بلد ما، على الرغم من أن معدل دخلهم قد يكون كافياً لشراء الغذاء عند توافره بالأسعار العادية.

● الوضع الراهن للأمن الغذائي في الأمة:

تعاني معظم البلدان الإسلامية، من نقص مزمن في المواد الغذائية، كما تعتمد على استيراد كميات كبيرة من الأغذية من البلدان المتقدمة؛ لسدِّ حاجتها من الموارد الغذائية الأساسية، وتنفق مبالغ كبيرة لاستيراد تلك المواد؛ الأمر الذي يشكِّل

استنزافاً كبيراً جداً للاقتصاد الوطني. لقد استوردت بلدان العالم الإسلامي في عام ١٩٨٥م فقط ما مجموعه ٩٩,٨ مليون طن من الحبوب تعادل قيمتها ٩,٤ مليار دولار، فضلاً عن حصولها على حوالي ٦ ملايين طن كمعونات غذائية من بلدان مختلفة. وهكذا فقد زادت النسبة اليوم، فأصبح الْمُسْتَوْرَد حوالي ٢٠٠ مليون يعادل ٢٥ مليار دولار، وأصبح بهذا أن الدول الإسلامية تشكِّل مجتمعة أكبر مشترٍ تجارٍ للمواد الغذائية في العالم، وهذا يجعلها عُرضةً لما يُدْعَى «سلاح الغذاء»، ويجعلها تحت رحمة القوى الكبرى التي تملي عليها ما تريد من شروط وسياسات[1].

● **وضع لا يبشِّر بخير:**

وإذا ما تفحصنا تطور معدلات نمو الإنتاج المحلي الإجمالي المتولد من قطاع الزراعة، نجده - وللأسف - في تأخّر مستمر، وتدهور دائم، رغم أنَّ الأعداد السكانية تزيد ولا تنقص، فنجد في بعض الأقطار العربية خلال الفترة ١٩٧٣ - ١٩٨٤م مقابلة بالفترة من ١٩٦٥ - ١٩٧٣م، فبعد أن كان المعدل في ١٩٦٥ إلى ١٩٧٣م ٦,٦ في تونس، أصبح ١,٩٪، وليبيا ١١,٥ ٪، أصبح ٦,٥٪، والمغرب ٤,٨ أصبح ٠,٦٪. بينما نمو الناتج الزراعي في مصر اتسم بالجمود النسبي ٢,٦٪ خلال ١٩٦٥ - ١٩٧٣م، مقابل ٢,٥٪ خلال الفترة من ١٩٧٣ - ١٩٨٤م[2].

● **أسباب هذا التدهور:**

يرجع أسباب هذا القصور بالدرجة الأولى، إلى الأسباب التالية:

١ - عدم استغلال الأراضي الصالحة للزراعة، وعدم استغلال الأنهار الكثيرة والمياه الجوفية؛ إذ إنَّ نسبة الأرض الصالحة للزراعة بالنسبة إلى النسبة المستغلة في الزراعة ضئيلة جداً. فمثلاً: نسبة الأراضي المستغلة إلى غيرها من الصالحة للزراعة في السودان ٢,٨٪، ونسبة الأرض المنزرعة بالنسبة لمصر ٢,٧٪، وبالنسبة لجيبوتي ٠,١٪، وبالنسبة لإيران ٩٪، وبالنسبة إلى السعودية

(١) انظر في ذلك: الأمن الغذائي في العالم الإسلامي، ص ١٣٢، ١٣٣.
(٢) التنمية العربية ٩٨، ٩٩، ط. مركز دراسات الوحدة العربية.

٠,٠٥٪، وبالنسبة إلى اليمن ٤٪... إلخ. وهكذا، فإنَّ استغلال الأرض يجب أن يكون أكبر من ذلك؛ حتى يكون هناك أمن غذائي.

٢ ـ عدم الاعتماد على التطور الزراعي، أو على الزراعة الحديثة، فمازال قطاع الزراعة في البلدان الإسلامية بدائياً يعتمد على الوسائل القديمة التي اندثرت في معظم البلاد، وكان يجب الاعتماد على الزراعات المسماة بـ «الراقية» من منطلق تقدم طرق ووسائل الاستخدام فيها، كاستخدام الآلات الحديثة، والبذور المهجنة كثيرة الإنتاج، والمبيدات الحشرية، والأسمدة الزراعية المطلوبة لكل زراعة، وترتيب الدورات الزراعية، وتنويع الغلات ونظام الري، والتوسع في استخدام الميكنة الموفرة للجهد والطاقة والمادة.

٣ ـ عدم الاهتمام بالشعوب وبمستقبلها وأحوالها المعيشة وتقدّمها ورفع مستواها الاقتصادي.

٤ ـ عدم وجود الخبرة اللازمة في هذا المجال، وانصراف السلطة عن إيجادها، وعدم الاستثمار للمال في هذا القطاع المهم.

٥ ـ عدم الرقابة الشعبية للقائمين بالأمر، وانعدام الحريات، وفقدان محاسبة المخطئين أو المفرطين، وعدم وجود خطة زراعية مدروسة ومعدة وقابلة للتنفيذ.

٦ ـ توجهات أجنبية لدفع القوى الزراعية إلى التخلي عن القطاع الزراعي الاستراتيجي تحت ظروف وحجج واهية؛ لتظل البلاد في حاجة ماسَّة إليهم، وسوقاً لتصريف منتجاتهم.

● الطاقات الصناعية للعالم الإسلامي:

العالم الإسلامي ـ بأرضه الواسعة، وأقطاره المختلفة، ومناخاته المتنوعة، وكإقليم من سطح كوكبنا الأرضي ـ متنوعٌ في ثروته المعدنية، وغني في بعضها ومتوسط في البعض الآخر. وتعتبر المعادن من أهم مساندات الاقتصاد الإسلامي، وأكبر المدعمات لاستراتيجيته العالمية.

وذلك نظراً لحاجة العالم الماسَّة والمستمرة إلى المعادن بجميع أنواعها، والعالم الإسلامي غني جداً بما حباه الله من ثروات معدنية ضخمة يحسد عليها، بل كانت

سبباً للأطماع الاستعمارية على مدار التاريخ القديم والحديث؛ لما لها من أهمية في كثير من التوجّهات، منها:

١ ـ أنَّ الثروات المعدنية تكون مصدراً للعملات الصعبة حين يتوافر من إنتاجها فائض يصدّر خامات، أو مصفيات أو مصنعات ومشغولات.

٢ ـ تكون دعامة قويَّة للمكانة الاستراتيجية الاقتصادية والحضارية والسياسية لأقطاره، وبالتالي للعالم الإسلامي المتكامل.

٣ ـ ركيزة مضمونة لإقامة العديد من الصناعات المعدنية، أشهرها حالياً على الأرض الإسلامية: تكرير النفط ـ البتروكيماويات ـ الحديد والصلب، القصدير.

٤ ـ أن العالم الإسلامي ـ حالياً ـ له مكانة تجارية مهمَّة في تصدير المعادن والخامات غير المصنَّعة، وإذا صُنِّعَت كان هـذا شيئاً لا يستطيع أحد أن يباري العالم الإسلامي فيه.

٥ ـ أنه يمكن اعتبار المعادن المستخرجة من العالم الإسلامي احتياطياً متجدداً يدعم مناجم معادنها ومطمئناً لمنشآت التعدين على الأرض الإسلامية، من مساكن وخطوط وطرق ومواصلات ومنشآت الخدمات العامة، والمصانع الإنتاجية.

● **تقسيم الموارد المعدنية في العالم الإسلامي:**

تنقسم الموارد المعدنية في العالم الإسلامي إلى فئات مختلفة ومتعددة، من أهمها:

١ ـ **معادن الطاقة والوقود والقوة والحركة:** وهي المعادن التي يعتبر استخدامها الأساسي هو الحصول منها على الحركة وعلى الطاقة والحرارة، والتي تتمثل في: النفط ومكوناته، والفحم ومستخرجاته، واليورانيوم، وجميع معادن الحصول على الطاقة الذريَّة.

٢ ـ **المعادن الكيماوية:** وهي المستخدمة خاصة في الصناعات الكيماوية، كالأسمدة، والبويات، والمبيدات الحشرية، ونعني بها هنا: كلاً من البوتاسيوم، والفوسفات، والأملاح بأنواعها، والكوبالت، والمنجنيز، والهيماتيت.

٣ ـ **معادن الصلب والسبائك:** وهي مصدر جميع أنواع المصنوعات المعدنية الصلبة

والسبائك، وأهمها: الحديد، والنحاس، والقصدير، والرصاص، والألومنيوم، والمنجنيز، والكروم، والتيتانيوم، والفانيديوم.

٤ - **معادن الإنشاء والتعمير:** ونعني بها: المعادن اللافلزية: «الصخور الاقتصادية» التي تستعمل بعد تصنيعها في أعمال الإنشاء والتعمير للمباني، ونخص منها: الجير، الرمل، البازلتية، الجرانيت، الجبس، الرخام.

٥ - **معادن صناعية أخرى:** والتي تدخل في صناعة الطوب الزجاجي، والخزف، والصيني، والحراريات؛ والتي من أهمها: الصخور الطينية، والصلصال، والجرافيت، والسيلكا، والأسمنت.

٦ - **معادن ثمينة:** الذهب، الفضة، الماس، البلاتين، الأحجار الكريمة، الزمرد والمرجان.

والعالم الإسلامي - في الحقيقة - ينعم - وحتى الآن - بثروة معدنية حقيقية ومتنوعة من المعادن، ويحتل ببعضها مكانة عالمية مرموقة إنتاجاً ونوعاً، وينافس في عدد كثير منها. ويكفي أنْ نعلمَ أن عندنا ٧٢٪ من احتياطي العالم من البترول، وننتج الآن ٣٦٪ من الإنتاج العالمي، وينتج العالم الإسلامي من القصدير ٤٧٪ من الإنتاج العالمي، و٢٥٪ من النحاس، ومن المطاط الطبيعي ٧٥٪ من الإنتاج العالمي، والمخزونات من الخامات المتعددة في العالم الإسلامي كبيرة ومتنوعة، ولكنها تحتاج إلى اكتشاف وتسويق.

- **القدرة التصنيعية والإنتاجية للعالم الإسلامي:**

القدرة التصنيعية والإنتاجية للعالم الإسلامي، كبيرة جداً؛ حيث يوجد عنده عناصر الإنتاج متوافرة من تلك العناصر الأساسية:

١ - العنصر البشري، والعدد الوفير من الأيدي العاملة.

٢ - الخامات الكثيرة البكر والمتنوعة باحتياط كبير.

٣ - رأس المال المتوافر عند كثير من الدول التي تستطيع أن تقوم بذلك.

ولو قُدِّرَ للعالم الإسلامي أن يستيقظ، وأن يتعدَّى الحدود المصطنعة بين تلك

الدول والدويلات وتكامل اقتصادياً؛ فإنَّهُ يصير القوة الاقتصادية الكبيرة والمؤثرة على الساحة العالمية، ويستطيع أن يستعيد عافيته وكرامته وقيمته الحضارية والقيادية.

● **معوقات التصنيع في العالم الإسلامي:**

١ ـ النقص الواضح في التقنية الصناعية، بل وصعوبة الحصول عليها؛ مما يستلزم الاهتمام بذلك وتبادل المعلومات بين الأقطار وإنشاء مراكز للبحث ومؤسسات تعليمية تقنية.

٢ ـ عدم تأسيس شركات إسلامية عملاقة في مختلف المجالات؛ لإظهار التكامل الإسلامي وتشجيع الأسواق الإسلامية.

٣ ـ ضرورة الاهتمام التخطيطي والتنفيذي لسياسة التصنيع والتسويق على المستوى المحلي والعالمي.

٤ ـ حجم رؤوس الأموال في الصناعات قزمي، وذلك قد انعكس على حجم الصناعات الثقيلة.

٥ ـ الأسواق الإسلامية، دورها لا يكاد يُذْكَر في تشجيع الصناعات الإسلامية في أقطارها.

٦ ـ الصناعات معظمها ورش أو مؤسسات لا تتعامل مع مبدأ التكامل الصناعي مع بعضها البعض، حتى تفعل شيئاً ذا قيمة مثل الصناعات الأوروبية.

٧ ـ معظم الصناعات الحديثة والمهمَّة في الأقطار الإسلامية، يساهم فيها رأس المال الأجنبي والخبرة والأدوات الأجنبية المتآمرة والحاسدة والسالبة لأرباحها، وليس عند الحكومات مخطط للاستفادة منها، ونقل خبرتها إلى العمالة المحلية.

٨ ـ البلاد الإسلامية تعاني من الحدود السياسية والحواجز الجمركية والتشريعات والقوانين غير المستقرة التي تفرضها الحكومات الإسلامية بغير أن تراعي المصالح الصناعية أو التجارية.

٩ ـ عدم توافر إمكانات خبرة الإدارة والمراقبة المطلوبة، وانتشار المركزية فيها؛ مما يعيق الإنتاج، ويزيد من كمية الزمن، والفاقد في الخامات، والتكلفة.

١٠ ـ الاستفادة من التطوير التكنولوجي والعلمي المتسارع مفقود.

١١ ـ الاهتمام الحكومي للتصنيع وتوجيه الجامعات والمعاهد إلى التكامل مع المصانع معدوم كلية، ويقتصر الاهتمام على الدعايات.

١٢ ـ الفساد الموجود في الكوادر الصناعية، والسرقات في المصانع، وعدم وجود القانون الرادع.

* * *

الفصل الثاني
العالم الإسلامي فقهياً وسياسياً

يُقسِّمُ العلماء العالم إلى دول ـ أي أقطار ـ عدَّة حسب ما تمليه عليهم نظرتهم الإسلامية، حسب أزمانهم، وحسب مصلحة المسلمين دينياً ودنيوياً، كالتالي:

المبحث الأول
دار الإسلام وغيرها من التقسيمات الفقهية

١ ـ دار الإسلام:

وهي كل بقعة يسكنها المسلمون وتكون فيها أحكام الإسلام ظاهرة: قال الشافعية: هي كل أرض تظهر فيها أحكام الإسلام؛ كتحريم الزِّنى والسرقة ويسكنها مسلمون، وإن كان معهم فيها أهل كتاب أو أهل ذمة، أو فتحها المسلمون وأقروها بيد الكفار، أو كانوا يسكنونها، ثم أجلاهم الكفار عنها[١].

فالشافعية على ذلك يقولون: إنَّ دار الإسلام، هي كل دار يسكنها المسلمون ويحرمون فيها ما يحرّمه الإسلام ويحلّون ما يحلّه، غير أنهم يضيفون إلى دار الإسلام كل أرض فتحها المسلمون قديماً أو حديثاً حتى ولو خرجوا منها، فإنَّها تظل دار إسلام.

غير أن أبا حنيفة ـ رضوان الله عليه ـ يميل إلى تعريف آخر أوسع من ذلك، فيقول: «دار الإسلام ودار الكفر، أضيفتا إلى الإسلام أو إلى الكفر؛ لظهور الإسلام والأمن، أو الكفر والخوف فيهما. وظهور الإسلام أو الكفر إنَّما هو بظهور أحكامهما وهو الأمن والعدل في دار الإسلام، وعدم الأمن والمظالم في دار الكفر».

ووجهة قول أبي حنيفة: أن المقصود من إضافة الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر، ليس هو عين الإسلام والكفر، وإنَّما المقصود هو الأمن والخوف، ومعناه: أن الأمن

---

(١) حاشية بيرجمي (٤/ ٢٢٠)، وهو ما يفهم من «نهاية المحتاج» (٨/ ٨١) وما بعدها.

إن كان للمسلمين على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق، فهي دار كفر، فالأحكام عنده مبنية على الأمان والخوف، لا على الإسلام والكفر، فكان اعتبار الأمن والخوف أولى[1]. وعلى هذا، فأبو حنيفة نظر إلى الأعمال وليس إلى الاعتقاد، فإنَّه في القلب، وليس كذلك بالأقوال، فإنَّ الأقوال بدون أعمال، مصائب ونفاق وضياع.

٢ ـ دار الحرب:

ويقصد المسلمون بدار الحرب: تلك الدار التي تحارب المؤمنين ـ أي الدولة الإسلامية ـ وبينها وبين المسلمين عداء، وتريد أن تستأصلهم، فهي تُعِدُّ لهم العُدَّة وتحرّض عليهم وتعلن الحرب وتهجم على ديار المسلمين، وقد كان ذلك عداء مستحكماً بين المسلمين وبين الكفار في الزمن السالف، ولهذا جاءت تعريفات دار الحرب في القديم موازية لدار الحرب في أزمانهم، أمَّا اليوم، فإنَّ تعريف دار الحرب معروف، وهو: الدار أو الدولة التي تعلن الحرب على المسلمين أو على قُطْر من أقطارهم قصد الاستئصال والبغي والعدوان، أمَّا من لم يعلن الحرب على المسلمين، فليست داره بدار حرب، بل هي دار عهد، أو دار صلح... إلخ، كما سيأتي.

أموال الحربي: درج جماعة من أصحاب الشهوات الذين يدَّعُون الإسلام على أعمال جهل بإباحتهم أموال غير المسلمين على أنهم أهل حرب ودارهم دار حرب، وجروا على المسلمين كثيراً من التهم وسوء الظن والاتهام بالهمجية والغدر، ويحسن بنا أن نبين حكم العلماء في هذه المسألة.

قال العلماء: إذا دخل المسلم دار الحرب: «الذين يعلنون علينا الحرب» بأمان وأخذ مالاً من حربي في دار الحرب للتعامل بالتجارة، أو وديعة، أو بشراء، أو ببيع في الذمة، أو قِراض[2]، فالثمن في ذمته عليه أداؤه إليه بمقتضى العقد، وإذا خرج الحربي إلى دار الإسلام مستأمناً قضى القاضي على المسلم بماله كما يقضي به للمسلم

---

(١) بدائع الصنائع (٧/ ١٣ ـ ١٣١)، وابن عابدين (٣/ ٢٥٣)، وموسوعة الفقه بالكويت (٢٠/ ٢٠٢، ٢٠٣).

(٢) القِراض والمقارضة: المضاربة، كأنه عقد على الضرب في الأرض والسعي فيها، وصورته: أن يدفع إليه مالاً ليتجر فيه، والربح بينهما على ما يشترطان. [القاموس المحيط، مادة (قرض)].

والذي في دار الإسلام؛ لأنَّ الحكم جار على المسلم حيث كان، لا نزيل الحق عنه بأن يكون في موضع من المواضع كما لا تزول الصلاة عنه بأن يكون في دار الحرب، هٰذا إذا كان حربي والدار دار حرب[١]، فما بالنا إذا كانت الدار دار أمان وعهد وبين المسلمين وبين الدول معاهدات وتمثيل دبلوماسي وسفراء وتجارات واستيرادات ومعاملات مالية وبنوك . . . إلخ. أليست هٰذه هي الهمجية بعينها؟!

نعم، الأصل في مال الحربي الإباحة، ولكنه يحرم وتثبت لأموالهم العصمة بإجماع الفقهاء في حالات، منها:

• إذا دخل المسلم دار الحرب بأمان أو بأسر، وائتمنوه على نفس ومال، لم يحلّ له خيانتهم، وأمّنه إياهم من نفسه؛ لأنَّه غدر ولا يصح الغدر في الإسلام، فإن سرق منهم شيئاً أو اغتصب، وجب ردّه إلى أربابه، فإن جاء أربابه إلى دار الإسلام، وجب ردّه إليهم، وإلا بُعِثَ به إليهم؛ لأنَّه أخذه على وجه محرَّم فلزمه ردّه، كما لو أخذ مال مسلم[٢].

• إذا أسلم الحربي في دار الحرب، حقن دمه وأحرز ماله وأولاده الصغار من السبي ولا يصح أخذ ماله أينما كان وحيث وُجِد[٣]. وقد وجدت الآن اتفاقيات عالمية تنظم ذلك.

٣ـ دار العهد:

ومعنى العهد: الأمان، والذمة، والحفاظ، ورعاية الْحُرْمَة، وكل ما بين العباد من المواثيق فهو عهدٌ. ودار العهد في الإسلام: كل بلد صالح المسلمين أهلها وحاكمها على موادعة أو صُلْح، أو معاهدة عدم اعتداء بعوض يدفعونه للمسلمين أو بغير عِوَض.

وإذا رأى الإمام عقد صلح مع دار الحرب، يكون في مصلحة المسلمين، جاز ذلك. قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١]،

(١) انظر في هٰذا: الأم للشافعي (٤/ ٢٨٨)، كشاف القناع (٣/ ١٠٩)، مغني المحتاج (٤/ ٢٣٠).
(٢) انظر: بدائع الصنائع (٧/ ١٣٣)، والخرشي (٢/ ١١٦)، ومغني المحتاج (٤/ ٢٣٩)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٤٥٨).
(٣) المغني (٨/ ٩٤، ٤٢٨)، كشاف القناع (٣/ ٥٨)، ومغني المحتاج (٤/ ٢٢٦).

والرسول ﷺ، وادَعَ أهل مكة عام الحديبية. وما بين المسلمين اليوم وغيرهم من الدول ـ ما عدا إسرائيل ـ هي عهود، وأمان.

● الأمان لأهل دار العهد:

يمنع الإمام المسلمين والذميين من إيذاء أهل دار العهد والتعرض لهم؛ لأنَّهم استفادوا الأمان في أنفسهم وأموالهم بالموادعة، فلا يجوز خطفهم، أو الاعتداء عليهم أو التربص بهم أو قتلهم تحت أي مبرر، وهٰذا يكون خيانة ووضاعة لمسالم لا يجوز أن يقترفها مسلم مهما كانت الظروف والملابسات، ويدخل في ذلك خطف الطائرات وغير ذلك، فما بالنا بمن يقتل أهل الذمة أو أهل الكتاب في ديار المسلمين مدَّعياً أن لهم أخطاء، وإن كانت فهناك قانون يجب أن يتحاكم إليه الجميع حتىٰ لا تكون فتنة أو فوضىٰ وتُنْسَبُ إلىٰ الإسلام والمسلمين، وهم منها براء.

هٰذا، وللبعض في شروط العهد أقوال، هي من اختلاف العصر والأوان، ومن شؤون المتصرين. أمَّا اليوم، فيجب علىٰ المسلمين أن ينظروا للأمور بفقه وبصيرة؛ حتىٰ لا يتعرضون للكراهية، والنقد والامتهان.

٤ ـ دار البغي:

البغي أصله: الظلم ومجاوزة الحدّ في الفساد. وبغىٰ الرجل: إذا تكبَّر واستطال وعدل عن الحق. والفئة الباغية: هي الظالمة الخارجة عن طاعة الإمام العادل. ومنه قول الرسول ﷺ لعمار بن ياسر رضي الله عنه: «**وَيْح عمَّار تَقْتُله الفِئَةُ البَاغِيَة**»(١).

والمعنىٰ الشرعي للبغي، هو: المخالف لإمام العدل، والخارج عن طاعته بامتناعه من أداء واجب عليه؛ كزكاة، وخراج أرض... وغيرها.

ودار البغي في التعريف الاصطلاحي: جزء من دار الإسلام تفرَّد به جماعة من المسلمين خرجوا علىٰ طاعة الإمام الحق بحجة تأوّلوها مبررة لخروجهم، وامتنعوا وتحصَّنوا بتلك الأرض التي أصبحت في حوزتهم، وأقاموا عليها حاكماً منهم وصار

---

(١) كشف الخفاء (٢٩٧٣): «متفق عليه» (٢/ ٣٤٦). كنز العمال (١١ ٣٣٥٣١) (١١/ ٧٢٢)، المسند الجامع (٤٦٦٥) (١٤/ ٤٠٣)، السلسلة الصحيحة (٧١٠) (٢/ ٢٠٩)، صحيح وضعيف الجامع الصغير (١٣٠٨٥): «حديث صحيح»، قاله الألباني (٢٧/ ١٥٧).

لهم جيش ومنعة.

وهي اليوم تساوي انقلابات العسكر التي تجري في أيامنا هذه واستيلاءهم على الحكم وتنصيب أنفسهم حكاماً بغير انتخاب أو بَيْعَة أو رضا من الأمة. وتصطلي الأمة بنارهم وظلمهم، وغالباً ما يكونون غير مؤهلين للحكم ولا عالمين بأمور الرعيَّة فتهوي الأمة تحت أيديهم وأرجلهم ويذهب ريحها ويفسد أمرها.

ولهؤلاء البغاة أحكام يرجع في ذلك إلى كتب الفقه[1].

٥ ـ دار البدعة:

عرف أناس في العصر الحديث البلدان المسلمة التي لا تحكم بالإسلام كاملاً وتأخذ بالقوانين الوضعية، أو بترقيع القوانين أو بحكم العسكر أو غيرهم ممن يحكم بهواه بدار البدعة، وهي الدار التي اختفى فيها حكم السُّنَّة وظهر فيها حكم البِدَع والأهواء التي يجب محاربتها.

٦ ـ الدار المسلوبة:

وكذلك أطلقوا على الدار التي كانت بأيدي المسلمين وكانت تحكم بالإسلام ثم ضعف المسلمون ووهنت قواهم فغلب عليها الكفَّار والمحاربون من غيرهم، فسمّوها بـ «الدار المسلوبة»، وأوجبوا الجهاد لاسترجاعها. والأندلس، وما على شاكلتها من الديار التي فتحها المسلمون واستقروا فيها زمناً ثم ضعف المسلمون بعد ذلك، فسُلِبَت منهم بحرب أو بغير حرب.

* * *

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٠٨)، وبدائع الصنائع (٧/ ١٤٠)، والدر المختار (٣/ ٣٣٨)، والمغني (٨/ ١٠٧).

المبحث الثاني
المعسكر الإسلامي ومكانته العالمية

قام ذلك المعسكر على توحيد الأمَّة وتوحيد البشرية تحت معنى الإنسانية الشامل والعدالة والإحسان والإخوة الإنسانية الحانية، «**لا فضلَ لعربيٍّ على أعجميٍّ ولا لعجميٍّ على عربيٍّ، ولا أبيضَ على أسود، ولا أسود على أبيض إلاَّ بالتَّقْوَى، الناسُ من آدم، وآدمُ من تـــراب**»(١)، ولا إكراه في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي، واتسع نطاق الدولة الإسلامية حتى أزاحت ممالك وأمماً من التاريخ، وقامت بدورها العالم خير قيام على عهد النبوة وأيام الخلافة الراشدة، وتدافع التيار إلى مداه أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين، واستمرت الدولة الإسلامية هي الدولة العظمى في العالم حوالي ١٣ قرناً من الزمان، حكموا بالعدل والمعروف، فلا عصبية؛ لأنَّ دينهم يمقت العصبية «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ**»(٢)، والأمر شورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والسلام والأمن والحب والفضيلة ترفرف على الأمة، ولا استعباد ولا امتهان، والكل ينعم بالحرية. وقد قال عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص عامل مصر ـ وقد ضرب ابنه مصرياً ـ وافتخر بآبائه قائلاً: خذها وأنا ابن الأكرمين، فاقتصَّ منه عمر وقال: «متى اسْتَعْبَدتُم النَّاسَ وقَدْ وَلَدَتْهُمْ أمّهاتهم أحْراراً؟!».

إلى أن ترك المسلمون منهجهم وشريعتهم، وتحوَّلوا عن العدالة إلى الأهواء، وعن الأخوة إلى العداوة، وعن الشورى إلى الدكتاتورية، وعن الحرية إلى الاستعباد، وعن الفضيلة إلى الرذيلة، وعن العمل الصالح إلى العمل الطالح، وعن العمل المنتج إلى الثرثرة؛ فكان الفشل والانعزال عن قيادة الأمم وانسحابهم من ميدان الحياة والتقدم أخيراً، وكانت الخسارة عظيمة لم تقتصر على العرب وحدهم

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٤٠٦) (١/ ٤٠٦): «حديث صحيح».

(٢) أبو داود في الأدب (٤٤٥٦)، من حديث جُبَيْر بن مطعم رضي الله عنه.

أو على المسلمين وحدهم، وإنَّما عمَّت الإنسانية عامَّة، ولم يشهد التاريخ خسارة أتعس منها ولا أعمّ؛ لأنَّ العالم فقد رسالة الأنبياء، وفقد البلاغ لهدي السماء وحكم العدالة الربانية، وتولَّت الأمم الأوروبية القيادة، وأسست دولة واسعة ومعسكراً متنائي الأطراف على أنقاض الدولة الإسلامية، فأثر هٰذا التحول العظيم في قيادة الأمم وزعامة العالم، في الدين، والأخلاق، والسياسة، والحياة العامة، ومصير الإنسانية.

وكيف يكون الحال لو نهض العالم الإسلامي اليوم من كبوته وصحا من غفوته، وتملَّك زمام الحياة من جديد؟

وهل ستسمح قوى الحقد والشرّ للهدي الإسلامي أن يرجع في أمة وللحق الإسلامي أن يظهر في دولة أم أنها ستحرق كل هداية وتعصف بكل دولة حتى لا يظهر النور من جديد، وهٰذا ما سنراه في الجولة الآتية:

الواقع السياسي للعالم الإسلامي
(عالمية الدعوة وعالمية الأمة)

كان الوحي الإلٰهي قديماً، يتخيَّر بقاعاً من الأرض لينزل بها كما ينزل الغيث في مكان دون مكان؛ لحاجة الناس إليه، وكانت التوجيهات الإلٰهية والشفاء الربَّاني يأتي ليداوي عللاً وجوائح في بقاع معينة انتشر فيها الوباء، لكن الْبَعْثَةُ المحمدية كانت نقلة جديدة بالعالم كله، وتحوّلاً في حركة الحياة الروحية على ظهر الأرض؛ إذ جاءت الرسالة الأخيرة غياثاً لكل البشر وعلاجاً لكل الأمم والأمراض والعلل وصحبت الزمان في مسيرته وواكبت الحياة على امتدادها، فإذا انتهى جيل من الناس، فإنَّ الجيل الذي يليه مخاطب بها مكلَّف أن يسير على سننها ومُطَالَبٌ بحملها والدعوة إليها.

• دلالات العالمية في الكتاب الحكيم:

وليست عالمية الدعوة والرسالة ادِّعاء قد تقوله المسلمون أو دبجه المؤرخون، وإنَّما هو توجيه قرآني وأمر ربَّاني، لا يسع الرسول ﷺ إلَّا تنفيذه، ولا يسع المسلمون إلَّا تحمّله والاستعداد لتبعاته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً

وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٧، ٢٨]. ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان: ١]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وختم النبوة تقرير لهذه العالمية، فإنَّ القارات الخمس إلى قيام الساعة لن يطرقها من السماء طارق، ولن يجيئها من عند الله رسول، وسيبقى القرآن وحده صوت السماء بين الناس إلى قيام الساعة.

● عالمية الدعوة في تعاليمها:

إنَّ رسالة الإسلام، أقامت مفهوم العالمية فيها على الدين الواحد من الأزل إلى الأبد، وأن الأنبياء أخوة في التعريف بالله والدلالة عليه واقتياد البشر إليه، وجميع القرآن الكريم في سياقه الباقي كل ما تناثر على ألسنة النبيين، وفرض الإسلام الإيمان بالأنبياء كلهم والاعتراف بكتبهم ورسالاتهم ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وكان طبيعياً أن يدعو محمداً ﷺ العالم إلى رسالته؛ حتى يبلّغ دعوة ربه، وحتى يؤدي الأمانة التي كُلِّفَ بها فبدأ بقومه وثنَّى بالعرب، ثم أرسل إلى امبراطور الروم، وملك الفرس، وحاكم مصر، ونجاشي الحبشة، والأمراء المنتشرين حول الجزيرة يدعوهم إلى الإسلام وتوحيد الله وترك ما هم عليه من الخرافات والأباطيل ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١، ٢].

* * *